الوجه الآخر للنهضة الأوروبية

محاضرات في تاريخ اوروبا في

عصر النهضة

1789 - 1453

الدكتور صالح حسن العكيلي

Scanned by CamScanner

الفصل الأول

النهضة الأوربية

Scanned by CamScanner

النهضة الاوربية

أولا: مقدمة:-

لما كان الأنتقال من عصر إلى آخر محكوما بجملة أمور تظهر في بلد ما وتختفي في آخر فإن ظهور العصر المعين في بلد ما لا يعني بالضرورة ظهوره في جميع بلدان المنطقة أو الأقاليم في الوقت نفسه.

فالمعروف أن للتاريخ مراحل تسم بسمات معينة أدى ظهور الأخيرة ضمن حقبة معينة في موضع معين إلى تقسيم التاريخ الاوربي مثلا إلى اقسام بشكل افتراضي وليس نهائي ثم وضعت تحديدات وأسماء لكل من تلك الأقسام لتركيز الدراسة في الحقبة التاريخية المعينة ضمن تسمية معينة.

علىالرغم من ذلك فإن حالة عدم الاستقرار في تحديد بدايات ونهايات تلك الأقسام أو المراحل بقيت قائمة ومثال ذلك أن بعض المؤرخين يجعلون من عام 410م نهاية للعصر القديم وبداية للعصر الوسيط وجعل أخرون عام 378م هو الحد بين الفاصل بين العصر القديم والوسيط لا بل ذهب بعضهم إلى أن عام 313 أنه يمثل ذلك الحد فيما جعل بعضهم الآخر عام 395 ووفاة ثيوديوس حدا فاصلا بين العصرين القديم والوسيط ومرد ذلك الاختلاف استناد كل مؤرخ في اصدار حكمه وتطبيقه لسمات معينة عدها أساسا للاختلاف بين العصرين فقرنها بتسمية معينة من مسميات التاريخ ورجح أن تكون هذه التسمية أو تلك مرادفة لها.

وعليه يمكننا تقسيم التاريخ الاوربي على الأقسام الآتية:

1- التاريخ القديم: وهو الحقبة التاريخية السابقة لعام500م.

2- العصور الوسطى: وهو الحقبة التاريخية الممتدة بين عامي 500م-1500م.

3- عصر النهضة:وهو الحقبة الممتدة بين عامي 1453 أو 1500م-1789م.

4- العصر الحديث: وهو الحقبة التاريخية الممتدة بين عامي 1789-1914م.

خطأ: أجمع غالبية المؤرخين على عدّ النهضة الأوربية
المدة الحصرية ١٤٠٠-١٦٠٠ - وذلك لأن
العلم الذي تلاه هو عصر التنوير والاستنارة
فصل منفرد تلو النهضة وليس تتمة له.

Scanned by CamScanner

5- التاريخ المعاصر: وهو الحقبة التاريخية الممتدة من عام 1914- حتى سبعينات القرن العشرين.

فيما يترك باقي القرن العشرين ليشكل أختصاص العلوم السياسية. من ذلك لاحظ أن عصر النهضة يعد مرحلة أنتقالية بين العصور الوسطى والعصور الحديثة فهو بداية ونهاية في آن واحد على الرغم من اختلاف المؤرخين في تحديد سنوات بدايته ونهايته فمنهم من يرى يمتد بين 1400-1600 أو بين 1450-1650 أو بين 1300-1500 أو 1300-1600. ويعود هذا الاختلاف إلى أن الدول الاوربية لن تدخل جميعا عصر النهضة دفعة واحدة بل دخلته ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي ثم فرنسا عقب الغزو الفرنسي لها في حين دخلت انكلترا عصر النهضة في الربع الاخير من القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر أما روسيا فقد تأخرت كثيرا في دخول عصر النهضة إذ لم تدخله إلا في القرن الثامن عشر أيام بطرس الكبير وكاترين الثانية لأسباب تتصل بطبيعة التركيب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في روسيا.

ويرد مصطلح النهضة Renaissance في اللغتين الانكليزية والفرنسية بالحروف نفسها ولكن طبعا بلفظ مغاير، إلا أنه يعني مع ذلك البعث الجديد أو الانبعاث أو الولادة الجديدة وهي ترجمات لا يظهر فيها اختلاف جوهري بل اختلاف ظاهري لفظي شكلي.

وعليه يمكننا القول أن عصر النهضة هو حقبة تاريخية أمتدت بين العصور الوسطى الاوربية وبداية العصور الحديثة شهدت تغيرات سياسية وأقتصادية وإجتماعية وفكرية مهمة. أو أن عصر النهضة هو الحقبة التاريخية التي شهدتها القارة الاوربية بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر وحصلت خلالها تغيرات في ميادين الأدب والفكر والعلوم والفنون والسياسية والاقتصاد نقلت المجتمع

ولغاية القرن

Scanned by CamScanner

الاوربي من حال إلى حال فأصبحت الحياة والفكر على درجة عالية من غنى المحتوى وتنوع الصور بشكل لا يماثل حياة العصور الوسطى.

وجاء اختيار عام 1453 ليكون بداية لعصر النهضة لأنه شهد سقوط علامة من العلامات البارزة للعصور الوسطى ممثلة بسقوط الامبراطورية البيزنطية وحلول سلطة وكيان سياسي جديد محلها كان له أثر في صياغة أحداث المرحلة اللاحقة أي قيام الدولة العثمانية. (في هذه المحاضرة لا توجد سابقاً الدولة العثمانية)

في حين ما يمثل عام 1789 نهاية لعصر النهضة لأسباب تتصل بطبيعة ما وصلته النهضة وما طرحته الثورة الفرنسية التي قامت في ذلك العام، من أفكار ومبادئ جعلت أوربا مرة أخرى في مفترق طرق وسرعان ما وضحت معالم الطريقين بعد مدة وجيزة من الزمن.

وكان من الممهدات السياسية لقيام عصر النهضة هو النمو الكبير الذي حصل في ميادين التجارة الداخلية والخارجية وفي الصناعة وفي أنشطة المدن وظهور الطبقة البرجوازية في ايطاليا أولا ومن ثم في الأراضي الواطئة (هولندا وبلجيكا) والمانيا وفرنسا وانكلترا، وامتداد العلمنة في أوربا فأخذت أوربا بالقانون الروماني بدلا من القانون الكنسي. كما حصل تطور مهم في التعليم بعد ظهور الجامعات وانتشار الادب العلماني باللغات المحلية بعد أن كانت اللاتينية هي لغة الأدب الوحيدة في العصور الوسطى، كما خرج الادب عن قيود الدين في روحه ومحتواه ليعبر عن الحياة ومشكلات الناس.

ثانيا: أسباب ظهور النهضة في ايطاليا أولا:

لما كانت النهضة الاوربية هي حركة مدن كان لا بد للاغنياء من سكان المدن أن يمدوها أذن بوسائل الحياة والاستمداد، ففي ايطاليا كان هنالك العديد من المدن الحرة التي تمتعت بثروات كبيرة وامكانيات مادية مناسبة للنهضة فضلا عن وجود طبقة برجوازية كبيرة وغنية وعدم وجود النظام الاقطاعي أو سيطرة

Scanned by CamScanner

الاساقفة على مقاليد السلطة التي بقيت بأيدي الاغنياء من التجار والاشراف في بلاد لم تقبل بمملكة موحدة أو بحكم الامبراطور الالماني.

ولعب التنافس بين أمراء المدن دوره في دعم النهضة يدفعهم إلى ذلك التعصب المحلي للمنطقة أو المدينة أو المباهاة وكسب السمعة الجيدة فامتلات بلاطاتهم بالعلماء والادباء والفنانين وانفقوا الكثير من الأموال على الأدب والعلوم والفنون وأسهموا في أنشاء المكتبات العامة، إلا أن الجانب السلبي لهذا الدعم سرعان ما بدأ بالظهور ممثلا بالاغراق في المديح والتمجيد والمبالغة بزينة القصور.

هذا وقد أسهم نظام النقابات أسهاما فعالا في أزدهار الصناعة والتجارة ومن ثم سيطرت النقابات على تنظيم أجور العمال وساعات عملهم ومن ثم ازدهار البلاد.

أما في قطاع التعليم، فإن التعليم كان مدنيا بصورة عامة فيما كان في بقية أنحاء أوربا كنسيا، إذ انتشرت في ايطاليا الحركة المدرسية التي كانت تسمى أيضا نهضة القرن الثاني عشر. والحركة المدرسية هذه كانت قد نجمت عن تأثير العرب بعد أن ظهرت دراسات وترجمات للنتاجات العربية، وبعد أن أتيح لأوربا فرصة الاتصال بالحضارة اليونانية والرومانية، وذلك من خلال الاندلس وصقلية والحروب الصليبية والتجارة ولا سيما أن أيطاليا بلاد ساحلية تجارية كانت لها علاقاتها المتينة بالعرب في هذا المجال.

ولا يمكننا أن نغفل هنا ما تمتعت به ايطاليا من تراث عقب سقوط الامبراطورية الرومانية تمثل بالاثار الباقية والمخطوطات النادرة مما بعث في نفوس الايطاليين الرغبة باستعادة ماضيهم العريق، ولا يفوتنا أن نذكر ما تمتع به سكان ايطاليا لا سيما سكان فلورنسا من مواهب حتى عدت فلورنسا أحد مصادر الثقافة الحديثة الأساسية.

Scanned by CamScanner

ثالثا: خصائص عصر النهضة:

شهد عصر النهضة نظرة جديدة للحياة ملؤها التفاؤل، وأخذ الفرد يحيى في مجتمعه الذي تعددت عناصره وتباينت فئاته حتى باتت الحدود الفاصلة بين طبقاته غير واضحة على غير الحال التي عاشتها في مجتمع العصور الوسطى حينما كان يحيى أخل طبقته من دون ألا يكون قادرا على تغيير منزلته الاجتماعية.

كما شعر الفرد بشخصيته المنفردة واستقلاله الذاتي بعد أن فقدت التجمعات التي سادت العصور الوسطى قوتها فظهرت الفردية وأخذ الانسان يشعر بذاته ويفكر ويرغب بما يشاء مع تحوله إلى الواقعية في أحكامه بدلا من المثالية الدنيوية في أرائه وعقائده أكثر من ميوله الدينية الاخروية.

وعليه نظرت فلسفة العصور الوسطى إلى الأنسان على انه هدف وليس كما فعلت الكنيسة في العصور الوسطى حينما أنكرت قيمة الأنسان كعقل وروح وجسد وهو الأنكار الذي لم يكن يصب إلا في صالح الكنيسة حينما أكدت الأخيرة على أن الأنسان لا يمكنه أن يغير ما كتب له من مصير مهما بلغ من السوء مما أدى إلى عدم فسح المجال أمام الفرد كي يبدع ويبتكر على عكس الأفكار التي جاء بها عصر النهضة، حتى انه ليصح القول أن عصر النهضة هو الحقبة التاريخية التي أكتشف فيها الانسان ذاته وتعرف خلالها نظرة جديدة للحياة والكون على الرغم من عدم تحوله إلى عدو للعقيدة الدينية.

واتسمت نتاجات عصر النهضة بأنها أخذت تدخل السرور في نفس القارئ من دون التركيز على الوعظ الديني فقط، الذي ساد في العصور الوسطى، كما أوضحت تلك النتاجات قوة الأنسان وسيطرته وجماله ومتعته، كما اتصفت النتاجات الادبية في عصر النهضة بالطابع القومي مع وضوح شخصية المنتج وقوميته في كل منها.

Scanned by CamScanner

وظهر تقدير للطبيعة بشكل واضح وكذلك الامر مع التمسك بروعتها على الرغم من اتصاف الميول العامة في نتاجات عصر النهضة بالعقلانية. كما ساد في عصر النهضة احتقار العصور الوسطى والقديمة من جهة والتقدير الكبير للكلاسيك من جهة أخرى، كما انتشرت الثقافة الجديدة.

رابعا: مظاهر عصر النهضة:

1- في ميدان الادب والفكر:

أ. احياء العلوم القديمة أو (حركة احياء التراث اليوناني والروماني) أو (بعث الحضارة الكلاسيكية).

كان الاوربيون على اتصال بالحضارة اليونانية والرومانية ولا سيما أن المعرفة بالاداب الرومانية كانت متواصلة في فلورنسا، لذا جرت محاولة ضمن ما عرف بحركة احياء التراث اليوناني والروماني سعت إلى العودة إلى ذلك التراث لدراسته والتعرف على ما فيه من علم ومعرفة. وعليه نقب المنقبون في الأثار وفي المخلفات الادبية اليونانية والرومانية وانكبوا على دراستها، بعد أن كانت الكنيسة ترى في هذا التراث تراثا وثنيا لا فائدة ترجى منه.

وعليه جرت ترجمة كتب أفلاطون وارسطو، كما أطلع رواد تلك الحركة على شروحات وتعليقات العرب، مما حفزهم أكثر على الاتصال بالحضارة اليونانية والرومانية في مصدرها الاصلي اليوناني والروماني رغبة في التحرر من قيود العصور الوسطى بعد أن وجد رواد هذه الحركة في ذلك التراث متعة ولذة.

ومن العوامل الأخرى التي ساعدت على توجيه الأهتمام صوب احياء التراث اليوناني والروماني هو تكاثر المدارس والجامعات وظهور طبقة من المتعلمين والمثقفين في أواخر العصور الوسطى مما حطهم الحظر الذي فرضته الكنيسة على هذا التراث وشجع حكام المدن الايطالية الاثرياء على دعم هذه الحركة ماديا.

Scanned by CamScanner

فيما كان تنافس العوائل الايطالية الغنية على أقتناء المخطوطات عاملا فاعلا في تنشيط هذه الحركة، وكذلك أثر هجرة كثير من الأدباء والفنانين والعلماء من ايطاليا إلى القسطنطينية للبحث عن المخطوطات ودراسة اليونانية والتعمق في فنونها وقواعدها، وما لعبه العرب المسلمون في الاندلس وما ترجموه من اليونانية إلى العربية قد أدت جميعا إلى الاهتمام بذلك التراث الخصب الذي زاد الاهتمام به حركة الترجمة والعلماء الوافدين من القسطنطينية إلى ايطاليا عقب سقوط الامبراطورية البيزنطية.

أما أهم رواد هذه الحركة فهم بترارك وبوكاشيو وليوتاني وبردني، إذ بدء فرانسيسكو بترارك (1306-1374) بعث الحضارة الكلاسيكية في الأدب في ايطاليا مكرسا حياته للتعليم ودراسة الأدب، ونظم الشعر باللاتينية وتقليد القدماء في كتاباتهم حتى أنه عد " نجمة الصباح في عصر النهضة" إذ كانت له قصائد وجدانية شفافة العاطفة رقيقة الالفاظ ناعمة الأسلوب تدعى " السونيتات" . كما أنه عمد إلى تحرير ونشر نصوص كثيرة لمؤلفين لاتين وانتقد الاغراق في دراسة المنطق والجدل وبذل جهدا كبيرا لاقامة التعليم على أساس الآداب القديمة.

أما بوكاشيو (1313-1375) فكان من المعجبين ببترارك ولا يقل عنه حماسة للأدب اللاتيني القديم فكتب باللاتينية وأكتشف عددا من المخطوطات الضائعة لمؤلفين رومان ولا سيما " التواريخ" و " الحوليات" للمؤرخ الروماني تاكيتوس. وقد ترجم ملحمتي الالياذة والاوديسة إلى اللغة اللاتينية. ويشتهر بوكاشيو بكتابه (دي كاميرون) أي الأيام العشرة وهي مائة قصة نثرية خيالية مستمدة من الأداب القديمة مستوحى من قصص هندية وعربية لها قيمة تاريخية لأنها تعبير واقعي عن عادات عصر النهضة وروحه.

أما شخصيات هذه القصص فهي من مختلف أصناف الناس في فلورنسا في القرن الرابع عشر وهي تراجيدية أحيانا وهزلية أحيانا أخرى مع أشتمالها على بعض النقد لرجال الكنيسة. وكان من نتائج حركة أحياء التراث اليوناني الروماني

Scanned by CamScanner

١٤٥٥

تغير نظرة الناس إلى نتائج اليونان والرومان القدامى فأصبحوا يفهمونه ويتذوقونه، كما تخلت الكنيسة عن تزمتها تجاه هذا التراث لا بل أن بعض البابوات دعموا هذه الحركة رغبة منهم في المحافظة على زعامة روما للمدن الايطالية فقد كانوا يخشون انتقال تلك الزعامة إلى مدينة أخرى إذا هم لم يؤيدوا تلك الحركة النشطة. وكان في مقدمة أولئك البابوات البابا نقولا الخامس (1447-1755) الضليع بالكلاسيك الذي منح نساخ المخطوطات القديمة الجوائز الثمينة كما جمع كثيرا من الكتب الكلاسيكية في مكتبة الفاتيكان. فقد قدم جائزة لأحسن ترجمة للالياذة والاوديسة وكذلك فعل البابا بيوس الثاني وساعد البابا ليو العاشر الفنانين والانسانيين لرغبته في الفن والموسيقى والمقطوعات الادبية الرائعة ولرغبته بعدم زوال زعامة روما للمدن الايطالية إذا لم يدعم هو والبابوات الاخرون تلك الحركة.

ب- الحركة الانسانية:

لقد ارتبطت الحركة الانسانية باحياء التراث اليوناني والروماني حتى أصبحت أحد مظاهر عصر النهضة. وقد أكدت تلك الحركة على وجوب أن يكون التعليم مدنيا وليس كنسياً مع التأكيد على الحياة الدنيا دون الاخرة والأهتمام بالأنسان ورغباته وتأمين عيش طيب له مع مراعاة تنمية قدراته من دون التركيز على الزهد ونكران الذات في سبيل الاخرة. ويعود ذلك إلى أن المهتمين بالدراسات الكلاسيكية وجدوا أن اليونان والرومان كانوا قد ركزوا أهتمامهم على الدنيا والأنسان أكثر من الآخرة وأطلق على من أهتم بالكلاسيكية القديمة وأتقنها وعاش كما عاش الكلاسيكيون أسم Humanist أي الأنساني، تبع ذلك تداول مصطلح الأنساني فأطلق على الشخص المهتم بثقافة عصره والمتمكن من عناصره إلى حد ما.

الكلاسيكيات

في حين سميت الحركة التي شرع بها هؤلاء بالحركة الأنسانية، وسميت الدراسات المؤدية إلى هذه الغاية بالدراسات الأنسانية. وعليه عدت اللغة والأدب

Scanned by CamScanner